

محمد إدريس الكاندهلوى شاعراً عربياً

د. حامد أشرف هممداني

الأستاذ بالقسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور

MUHAMMAD IDREES KANDHALVI
A STUDY OF HIS ARABIC VERSE

Hamid Ashraf Hamdani, PhD

Professor of Arabic

Department of Arabic, University of the Punjab, Lahore

Abstract

Muhammad Idrees Kandhalvi is widely known for his services in the field of Islamic sciences. He has written many books on the different topics of the Islamic Sciences. He enjoyed command over Arabic language and was well versed in literary beauties of Arabic language. He had also composed verse in Arabic but his poetic flare is least known in the literary circles. This article presents an introductory study of his poetic rendition in Arabic. Besides excerpts and incorporations from Pre-Islamic and Islamic period's verse, his is mainly a pedagogic poetry. He freely employed excerpts from the Holy Qura'n and Hadith. The article covers various aspect of his poetry especially elegy, eulogy, pedagogy and felicitation etc.

Keywords: Holy Qur'an, Pakistan, Saharanpur, Haiderabad, Bahawalpur, Lahore Ashraf Ali Thanvi, Kandhalvi

الشيخ محمد إدريس بن الحافظ محمد إسماعيل الكاندهلوي، ولد في بلدة كاندهله بالهند سنة ١٣١٨ هـ. تلقى تعليمه الابتدائي في قريته، وأتم حفظ القرآن الكريم قبل بلوغه التاسعة من عمره، ثم رحل إلى مدرسة مظاهر العلوم بمدينة سهارنبور ومن ثم إلى جامعة دار العلوم الإسلامية بديوبند وتلقى العلوم من خيرة مشايخها.

ومن أشهر أساتذته حكيم الأمة الشيخ أشرف علي التهانوي، والشيخ خليل أحمد السهارنبوري، والعلامة أنور شاه الكشميري، والمحقق الكبير شبير أحمد العثماني، والمفتي عزيز الرحمن وغيرهم من جهابذة العلماء.

ولما كان حضرة الشيخ - نور الله مرقله - تبدو عليه منذ اللحظة الأولى مخايل النبوغ وأماثر الذكاء صار أساتذته يبذلون في تعليمه جهوداً مختصة مع كل عطف وحنان، ولإخلاص نيتهم يبدون لا تجحداً في تكوين ذوقه الفني وتنشيط مواهبه الصالحة.

بعد تخرجه في دار العلوم ديوبند عين مدرساً بالمدرسة الأمينية بمدينة دلهي ثم اختير مدرساً بدار العلوم ديوبند. ومكث بها تسع سنوات، انتقل بعدها إلى حيدرآباد الدكن وألف كتابه الشهير (التعليق الصبيح على مشكاة المصابيح)، وأخيراً رجع إلى دار العلوم ديوبند شيخاً للحديث، ومكث بها عشر سنوات، هاجر بعدها إلى باكستان سنة ١٣٦٨ هـ شيخاً للحديث بالجامعة العباسية بمدينة بهاوالبور، ثم انتقل إلى الجامعة الأشرفية بلاهور، ولم يزل يدرس الحديث والتفسير والفقه وغيرها من العلوم الدينية الرايجة مدة طويلة إلى أن توفي في رجب ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م، وتلمذ عليه في هذه المدة خلق كثير من الطلبة، استفادوا من علومه، وعرفانه، ونهلوا من معينه العذب المنهمر. فما من مدينة من مدن الهند وباكستان إلا وله فيها تلامذة وأكثرهم مشتغل بالتدريس والخطابة وإفادة العلوم، ويعتبر من العلماء الممتازين في عصرنا هذا. (١)

وكان للشيخ مؤلفات كثيرة نافعة في علم التفسير والحديث والفقہ والتصوف والأدب والكلام والمعاشرة وغيرها، نذكر في هنا الموضوع بعض ما لا نجد من ذكره بدأً. فمن آثار الشيخ محمد إدريس الكاندهلوى:

- تعليقات على تفسير البيضاوي - مقدمة التفسير
- تفسير معارف القرآن - دلالة الفرقان على مذهب النعمان
- إعجاز القرآن - أحكام القرآن

ومن آثاره في الحديث النبوي وعلومه

- مقدمة البخاري
- تحفة القاري بحل مشكلات البخاري
- تحفة المسلم بمقدمة صحيح المسلم
- تحفة الإخوان بشرح حديث شعب الإيمان
- الباقيات الصالحات في شرح حديث "إنما الأعمال بالنيات"
- منحة المغيث شرح ألفية العراقي
- مقدمة الحديث

- التعليق الصبيح على مشكاة المصابيح

ومن آثاره في السيرة والتاريخ

- سيرة المصطفى - الخلافة الراشدة

ومن آثاره في العقيدة وعلم الكلام

- عقائد الإسلام - أصول الإسلام
- علم الكلام - الدعوة إلى الإسلام
- إثبات صانع العلم - حدوث المادة والروح
- أحسن الحديث - مسك الختام

- الإسلام والنصرانية - كلمة الله في حياة روح الله
- القول المحكم - لطائف المحكم في أسرار نزول عيسى بن مريم
- الدين القيم - أحسن البيان في مسألة الكفر والإيمان
- نهاية الإدراك في حقيقة التوحيد والإشراك
- فتح الغفور شرح منظور القبور
- الأسس الخلافية بين الإسلام والقاديانية
- سلك الدرر شرح تائبة القضاء والقدر
- الكلام الموثوق في تحقيق أن كلام الله غير مخلوق
- ومن آثاره من القصائد العربية**

- لامية المعراج - رائية الحمد والثناء والمناجاة
- تشطير لامية امرئ القيس - قصيدة لامية في رفع اليدين
- قصيدة في إبطال التثليث - قصيدة في شأن صحيح البخاري
- في رثاء الشيخ محمد أنور شاه الكشميري
- في رثاء الشيخ محمد خليل الرحمن الأنصاري
- في رثاء الشيخ شبير أحمد العثماني
- في رثاء الشيخ عزيز الرحمن - تائبة القضاء والقدر
- موت العالم موت العالم - إبطال مذهب الجبرية
- بيان الفرق بين القضاء والمقتضى. (٢)

وكان للشيخ محمد إدريس الكاندهلوي ذوق لطيف بالشعر والأدب منذ ميعة صباه. ثم لم يزل إلى رقي وازدهار بما حصل له في دار العلوم من الجو العبيق بأزهار الأدب الناضرة، وكان معظم أساتذته ممن وهبه الله تعالى ملكة في هذه الصناعة كسائر العلوم، وأسس الشيخ الأنور - رحمه الله - لجنة أدبية لتربية أذهان

الناشئين، وسمّاها "نادية الأدب" وكانت هذه النادية تعقد حفلات أدبية أسبوعية أو شهرية يجتمع فيها الطلاب والأساتذة، ويلقون كلماتهم، وينشدون أشعارهم، وكان الشيخ محمد إدريس الكاندهلوي - بما وهبه الله تعالى من ذوق فطري - من سباق هذه الحلقة ومبرز في هذا الميدان.

وهكذا ارتقى ذوقه اللطيف، حتى أصبح يقول شعراً رائعاً في اللغة العربية. وهو - وإن لم يكن اختار الشعر كصناعة وفن له - فقد اجتمعت عنده مجموعة لطيفة من أشعار، وترى فيها ما يتلذذ به الأسماع ويهتزله الذوق السليم. ومعظم أشعاره مشتمل على حكمة مقبولة، وعظة مؤثرة، ولا ترى فيها الغرام التافه المبتذل، وإنما تشاهد حباً لله ورسوله، وإثارة على صالح الأعمال وفكر الآخرة. ولم تكن أشعاره العربية طبعاً بعد، ولعل الله يحدث بعد ذلك أمراً. وإن الكثرة تعرف عن الشيخ محمد إدريس الكاندهلوي أنه محدث وفقه وعالم وأردنا أن نعرفهم أن الله وهبه ملكة قرض الشعر، وأبياته نرى فيه آثاراً من عهد الشعر القديم والشعراء المخضرمين، وقصائده الرنانة ومراثيه الحنانة لو أردنا أن نقابلها مع قصائد أي شاعر يمكن أن نقابلها فلا نجد إلا سابقاً وذلك فضل يؤتيه من يشاء.

كان الشيخ محمد إدريس الكاندهلوي شاعراً قادراً، تدور موضوعات شعره بالعربية حول الحمد والمدح النبوي والثناء والذب عن الإسلام والرد على الفرق الباطلة. ويحتوي كتابه "سلك الدرر" شرح تائية القضاء والقدر على أكثر أشعاره، وهنا الكتاب في علم الكلام ألفه رداً على سؤال أحد الملاحدة في مسألة القضاء والقدر، في عصر الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد، وقام بالرد على هذا الملحد كثير من علماء مصر والشام ونظموا فيه قصائد بديعة.

يقول الشيخ محمد إدريس: بينما كنت في خلوتي إذ تذكرت تلك

القصاصند لعلماء مصر والشام فأردت أن أقول مثلما قالوا وأصول مثلما صالوا. (٣)
فأنشأ في الرد على السؤال قصيدة كبيرة تزيد على مائتين وخمسين بيتاً، وشرح
القصيدة شرحاً وافياً بالغرض، وجمع هذه الأعمال في كتاب سماه "سلك الدرر
شرح تائبة القضاء والقدر" ولذلك نرى أن شعره في هذه القصيدة يغلب عليه
الطابع العلمي لأنه يسرد حقائق علمية بحتة، وسوف نسوق نماذج من أشعاره.

بدأ القصيدة بقوله: [الطويل]

أسبح لله العظيم بحمده وأشكره في كل سر وجهرة
وأهدي سلامي للعبير المفتت لمن خصه المولى بختم النبوة
مع الآل والصحب الكرام جمعهم وسائر أهل الله أهل السريرة
ثم قال في إبطال مذهب القدرية:

هو الله رب الكون لا رب غيره هو الخالق البارئ بمحض المشيئة
وخالق صانع وخالق صنعة وفيه حليث مسند عن حليفة
وأعمالنا مخلوقة كذواتنا كما جاء في التنزيل في غير آية (٤)
وقال في بيان الحكمة في خلق الشرور وأسبابها:

ولو لم تكن أسباب شر لعطلت وماتت كثير من خلال حميدة
كصبر وحلم واحتمال مكاره وتخليص مظلوم وتنفيس كربه
ولو لم يكن فسق لما وجد التقى ولا سعدت نفس بحسن الإنابة (٥)

هنا وكما ذكرنا أن للشيخ عمدة قصاصند غير هذه القصيدة، نقطف نموذجاً من
قصيدة هنا فيها الشيخ شبيب أحمد العثماني على تأليفه "فتح الملهم" شرح صحيح
مسلم، وهذه القصيدة تلقي الضوء على شعره أكثر وقد بدأها بقوله: [الطويل]

أهنيك يانجم الهدى كل مسلم على ما هداك الله من شرح مسلم
شرحت بعون الله جامع مسلم وأوضحت فيه كل خاف ومبهم

وأودعت فيه لب ما قاله الأولى بأحسن ترتيب كدر منظم
 شرحت شرحاً قد حوى كل نكتة وإن كان فضل السبق للمتقدم (٦)
 وفيما يلي عرض مرجز لبعض آثاره الأخرى من القصائد العربية. وهي
 خير دليل على طول باعه وحسن تصرفه في هذا المجال.

نتفة من لامية الرثاء للشيخ محمد أنور الكشميري [الطويل]

سلام على حفظ الكتاب وسنة وحفظ وضبط بعد شيخ مبجل
 أريد به نور الهداية أنورا كيدر مبین في دجى الليل أیل
 فقد كان إجازاً لمدین نبینا کمثل البخاری أو کنحو ابن حنبل
 وكان إماماً حافظاً ومحدثاً إليه انتهى شد المطايا وأرحل
 وقد كان فرداً حافظ العصر جامعاً معارف أعلام الهدى والتفضل
 بكى عالم الإسلام طراً وأعولاً لخطب جلیل قد أناخ بمنزل
 بكاه مقام المدرس والوعظ حاسراً بكته نواحي الأرض والفلک العلی
 فقد كان رمحاً سمهرياً مثقفاً لمثل مسیح القادیان المخبل
 وأبيض هندياً لكل مسيلم وكل مناغ في نبوة مرسل
 توفيت يا رأس التقى وتركتني لفقدك أرويه بدمع مسلسل
 شرحت لنا الآثار إذ هي أشكلت وفسرت آيات الكتاب المفصل
 وعطر أفق الأرض من عرفك الشذي یباري شذاه روح مسک وصندل
 عليك سلام الله يا قبر أنور ورحمته تتري كودق مجلجل
 بفضلك يا مولى الوری قل لروحه أیا روح عبدي هذه الجنة ادخلي (٧)

مرثية حكيم الأمة الشيخ التهانوي رحمه الله [الطويل]

لقد قبضت روح العلى والمكارم بموت حكيم الهند أشرف عالم
 وقد قبضت روح الفضائل والهدى بموت إمام الهند رأس الأكارم

تقي نقي عالم أي عالم وموتته والله مودة عالم
وكان جنيد الوقت نعمان عصره وفي البحث كالرّازي عند التخاصم
وكان خطيباً مصقماً أي مصقع مواعظه مشهورة في العوالم
لقد جمع العلمين ظهراً وبطنه لقد مرج البحرين منه لشائم
وقد كان في التفسير آية ربه همى علمه مثل الحيا المتراكم
وأوحى علوم الدين مدة عمره وما خاف في مولاه لومة لآثم
تصانيفه سارت بشرق ومغرب وقد بلغت ألفاً فهل من مساهم
وصنّفها لله يبغى بها الرضى وما باع تصنيفاً له بالبراهم
بكتبه بلاد الهند حقاً جميعها وقد بُدلت أعراسها بالمآتم
وحق على الإسلام والعلم والتقى لفقدك تملراف الدموع السواجم
تزعزع بنيان الشريعة والتقى وصار بناء الدين واهي الدعائم
وقد مال طود الفضل من بعد مارسى وقد غاص بحر العلم بعد التلاطم
وقد كوّرت شمس المعارف والتقى وقد صار بدر العلم تحت الغمام
ومن لم يشاهد موت علم وحكمة ألافليشاهد هكذا غير حال
فمن للفتاوى والمعارف بعده وتلقين أذكار وإيقاظ نائم
فقد ناك من شاء بعد فليمت فرزء ك رزء جَلّ عن وهم واهم
ولم يبق للعينين بعدك مدمعاً وصغرلي كل الرزايا العظام
فقد ناك مثل الأرض تفقد وبلها وكيف حيلة الأرض من دون ساجم
كفاني حزناً أن تخلفت بعده أبكي مع الباكين مثل الحمام
عفاء على الدنيا إذا غاب نورها وغارت عيون العلم تحت التهائم
وفينا عزاء والملائك تنشد على الطائر الميمون ياخير قادم
وقد جدّد الأحران رزء وفاته وجدلي رسم الجروح الطواسم

وذكَرني رزء الخليل وأنور
ولا غروفي هذا فكان مجدداً
وجندد رسم الدين بعد دروسه
فيالمصائب قد أعاد مصائبنا
ولو قبل الموت الفداء لكتبه
وأيتمت أهل العلم يا علم الهدى
وأورثتنا علماً وأورثتنا الأسى
عليك سلام الله يا قبر أشرف
وبوأك الرحمن خير مبعوء
وأهديك يانجم الهدى أحسن الدعا
جزاك إله العرش خير جزائه

وقال يحمد الله عز وجل ويتضرع إليه [الطويل]

لك الحمد والتقدیس والمجد كله
تبارك يا رب السموات والثرى
لك الكبريا والخلق والأمر كله
تعاليت ما أولاك بالحمد أجدر
لك الفضل والنعماء والشكر كله
فنعماك جلّت أن تُعدّ وتحصرا
ومن ذا الذي يحصي ثناء ومدحة
وإن بالغ المشني وأكثر أكثر
ولو أن ما في الكون من كل كائن
لسان يديم الحمد كان مقصرا
رضيت بك الإله رباً ومالكاً
وبالمصطفى الهادي رسولاً مبشرا
وبالملة البيضاء ديناً وشرعة
عسى أردن يوم القيامة كوثر
وبالمسلمين إخوة ومرافقا
وبالذكر والطاعات عمّر جوارحي
وبالعلم والإيقان قلبي نوراً
ولست أبالي حين أهدي وأهتدي
وإن عند الناس أشعث أغبراً

وأسألك اللهم تعجيل رحمة فمن جوهر التعجيل عبدك حمرا
 إذا كان مدح أو ثناء منمنم فأكرم خلق الله أولى وأقدم
 ولا بد من بحر طويل لمدحه لما أنه بحر المكارم قلزم
 لكل امرئ في الحب دين ومذهب يدين بما يهوى وما هو يزعم
 وديني حب المصطفى منبع الهدى أجل الورى من في الجمال مسلم (٩)
 (٤) وقال يذكر إسراء النبي صلى الله عليه وسلم [الطويل]
 ألا ليت شعري هل يقولن مقولي قصيداً بإسراء النبي المبجل
 فسجان من أسرى بليل بعبده إلى المسجد الأقصى إلى عرشه العلي
 تمطى براقاً خطوه مدطرفه كبرق وليس البرق منه بأعجل
 وصادف فيها الأنبياء ينظرونه وقد جمعوا للشاهد المتوكل
 فلاح كبدر في الكواكب كامل فيا لاحتفال للكواكب منجمل
 وقال له الروح الأمين تقدمن وأم جميع الرسل يا خير مرسل
 فأنت إمام الأنبياء وخطيبهم ومصباحهم في كل ناد ومحفل
 وصل بأملاك السماء ليقتدوا يستمعوا القرآن خير مرتل
 ومنها إلى السبع السموات قدسما فنادته خزان الجناب المجلل
 على الطائر الميمون يا خير قادم وأهلاً وسهلاً بالمعالي تفضل
 رأى الآية الكبرى وما شاء ربه رأى جنة المأوى ومالم يخيل
 دنا فتدلى قاب قوسين أو أدنى وأكرم بالإيحاء سبحانه مفضل
 رآه رآه دون شك وريبة وما زاغت العينان عن نوره الجلي
 رآه بعيني رأسه وفؤاده رواه ابن عباس صحيح مسلسل
 وهما حديث جيد وموثق وأخرجه البزار ثم ابن حنبل
 وكلمه المولى ولم يك حاجب فلله من قدر علي وأجمل

وصار شهود العين في قلبه الذكي
 وما جاء عن نفي لإدراك أعين
 وقد جاء إدراك بمعنى إحاطة
 لطيف ومحجوب بنور جلاله
 فأنى لأبصار الورى والبصائر
 وليس له حد ولا تصور
 علا وعلا أن يدرك العقل شأنه
 وليس محلاً أن يرى العبد ربه
 وإن شئت برهاناً لإمكان رؤية
 فلذاك لاشتياق المومنين إلى لقا
 ومعراجه قد كان بالجسم يقظة
 على ذاك إجماع الصحابة كلهم
 ولم يبدن رب العرش غير نبينا
 وفارقه الروح الأمين بسدره
 وودعه جبريل إذ جاء رفرف
 ومن بعده قد زج في النور زجة
 وما ذاك إلا غاية لكرامة
 وفي ذاك إيماء لختم النبوة
 كقبل ارتداد الطرف إحضار عرشها
 فهنا غيظ من فيض ونماذج مختارة من شعره في الأغراض المتنوعة والتي
 تدل على قدرته على نظم الشعر في أغلب أغراضه وتظهر في شعره سمة التأثير
 والتقليد للشعر القديم في العصر الجاهلي والإسلامي ويسوده الطابع العلمي حيث
 كثر فيه الاقتباس من الكتاب والسنة وشاع فيه التضمين للشعر القديم.

الهوامش والمصادر

- (١) عبد الله، محمود محمد. اللغة العربية في باكستان دراسة وتاريخاً. الطبعة الأولى. باكستان: وزارة التعليم الفيدرالية، شعبان ١٤٠٤ هـ / مايو ١٩٨٤ م، ص ٢٥٢-٢٥٣
- (٢) همداني حامد أشرف (الدكتور): شعراء العربية في باكستان، جامعة بنجاب، لاهور ٢٠١١ م، ص ٢٢١-٢٢١
- همداني حامد أشرف (الدكتور) الشعر العربي في باكستان، رسالة الدكتوراه، جامعة بنجاب، لاهور ٢٠٠٧ م، ص ٢٤٣-٢٥٢
- عبد الله، محمود محمد: "اللغة العربية في باكستان" ص ٢٥٣، ٢٦٤
- فيوض الرحمن، الدكتور: مشاهير علماء ديوبند. لاهور: فرنثير بلشرز، (بنون التاريخ). ص ٤٣٦-٤٦١
- وصيفي، محمد ميان. تذكرة الشيخ محمد إدريس الكاندهلوي. الطبعة الأولى. لاهور: مكتبة عثمانية، ١٩٧٧ م، ص ٢٩ وما بعدها.
- (٣) الكاندهلوي، محمد إدريس: الكاندهلوي، محمد إدريس. سلك الدرر، شرح تائية القضاء والقدر. لاهور، (بنون التاريخ)، ص ٢
- (٤) الكاندهلوي، محمد إدريس: سلك الدرر، ص ٨-٩. ولعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ الصافات: ٩٦
- (٥) المرجع السابق، ١٢
- (٦) عبد الله، محمود محمد: اللغة العربية في باكستان، ص ٤٤٩
- (٧) البتوري، محمد يوسف. نفحة العتبر في حياة إمام العصر الشيخ أنور. كراتشي: المجلس العلمي، ١٩٦٩ م، ص ٢٤٩
- (٨) فيوض الرحمن، الدكتور. حكيم الأمت هو لانا أشرف علي تهانوي رحمه الله اور انكسے خلفاء كرام. (الشيخ أشرف علي التهانوي و خلفاؤه). كراتشي: مجلس نشریات، ١٩٩٧ م، ص ٤٠-٤٣
- (٩) مجلة الرشيد، العدد الخاص بالمنهج النبوي، لاهور، باكستان، ص ٢٠٨-٢٠٩
- (١٠) مجلة الرشيد، ص ٢٥٣-٢٥٥

